



حجر الذهب

فجأة دبت الحياة في الجسم العربي. رؤساء يطيطرون ويغطون، وزراء يروحون ويجيئون، مراسيل في كل مكان... يجب العودة بالذاكرة عقدين على الأقل حتى نجد حماوة ديبلوماسية مماثلة عشية انعقاد قمة عربية. وهذا في ذاته فأل خير، وان يكن يخشى ان يفضي هذا الانهماك بالمسؤولين العرب الى تجاهل ظاهرة اخرى لعلها اكثر دلالة حتى من نشاطهم "الجوي"، على اهمية القمة.

انها الظاهرة التي يمكن تلمسها في فنادق بيروت حيث بدأت تحتشد عجة صحافيين غربيين لم ترها هذه المدينة منذ الاجتياح الاسرائيلي. وبهذا المعنى، ستكون قمة بيروت مناسبة لاعادة العمل العربي المشترك الى واجهة الاهتمامات الدولية. من باب المقارنة، قمة عمان العام الماضي بالكاد حضرها عشرة صحافيين اجانب، رغم انها جاءت في خضم انتفاضة الاقصى. وراء هذه الهجمة الاعلامية التي تتم طبعاً عن اهتمام العواصم العالمية بالقمة، سبب واضح لا يجوز ان يخطئه احد من المسؤولين: انه التزام بين احتدام حرب استقلال فلسطين مع مشروع مبادرة الامير عبدالله. طبعاً، ان انعقاد قمة عربية بعد احداث ١١ ايلول كفيل في ذاته باثارة فضول الصحافة الغربية، لكن هذا الفضول كان سيقصر على عدد محدود من الصحافيين لو لم ترسم في الافق ملامح حدث تاريخي، بدليل تزايد طلبات الاعتماد العربية والاجنبية بعد التحرك السعودي.

بيد ان تحويل القمة العربية حدثاً دولياً لا ينطوي على مفاجأة سارة فحسب، بل قد يصبح مصدر سوء تفاهم يهدد نجاح مؤتمر بيروت، هذا اذا كان يراد لها النجاح. من لا يريد نجاح قمة بيروت؟ الاجابة سهلة، ان صيغ السؤال بهذه البساطة: لا احد غير ارييل شارون. الصعوبة تبدأ عندما نحاول تحديد معنى النجاح. عند البعض، ستنجح القمة اذا كررت "لاءات" الخرطوم، ولو بلباقة، وعند بعض ثان ان تضامن الحد الأدنى هو معيار النجاح: رشّة صمود، واصبع تصدّ، وموآل على وزن "السلام خيار استراتيجي"، هكذا لا يعتب احد. وفي المقلب الآخر معيار مغاير، هو على الأرجح الذي سيحدد كيفية تغطية الصحافة الغربية، يكمن في مدى "جدية" الالتزام العربي بالسلام، ولمزيد من التحديد، بالسلام كما تراه الولايات المتحدة.

بين هذه الرؤى المتعارضة، ثمة بالتأكيد مجال لتحديد معيار موضوعي يفرضه الظرف السائد، ظرف حرب استقلال فلسطين. بهذا المعنى، ستنجح القمة اذا استطاعت المساهمة في تقدّم الشعب الفلسطيني على طريق استقلاله. وسيتحقق النجاح باكتمال شرطين يفضل ان يبقيا منفصلين حتى في صوغ البيان الختامي. الشرط الاول هو الاعلان عن تطوير الدعم العربي المادي المعطى الى السلطة الفلسطينية. اما الآخر، فهو توفير الدعم السياسي للفلسطينيين من خلال تبني مشروع عربي للسلام اكثر تفصيلاً من خطة فاس. ان هذا المشروع الذي رمى اليه اعلان الامير عبدالله نيته التقدم بمبادرة، هو ما يسعى شارون الى تعطيله بامعانه في سياسة الاهانة. ولا ريب انه بهذه السياسة يراهن، وفقاً لنصائح "المستشرقين" حوله، على ان حس الكرامة مرهف عند العرب الى حد انه سيشل حتماً عمل الادمغة عندما يلتئم قادتهم.

الرهان على شلل الادمغة هو تحديداً ما يتوجب على قمة بيروت ان تفتّله. طبعاً، كان من الافضل ألا يوجد شخص مثل شارون على رأس الحكومة الاسرائيلية. وكان من الاسهل الا تستسلم الادارة



الاميركية الى منطق القوة، وكان من الانفع ان يتمتع العرب بالحد الأدنى من القدرة على الردع. ولكن، لو حصل كل ذلك، لما كنا انتظرنا قمة بيروت لاحياء عملية سلام هي اليوم في مصلحة العرب. اما وقد اجتمعت كل العقبات، وشارون يزيدنا كل يوم عقبة اضافية، فقد صار المطلوب من القمة ان تصنع من الضعف قوة، الامر الذي لا يحتمل الكسل الفكري الذي اعتدناه في المسؤولين العرب.

معجزة، تحويل الضعف قوة؟ ربما، لكنها معجزة قابلة للتحقيق، بل معجزة نراها تتحقق مرة جديدة عندما ننعم النظر في الاداء المذهل للرئيس ياسر عرفات، وسواء حضر القمة ام لم يحضر. أليس في هذه البهلوانية العبقريّة ما يجب ان يحقّق العرب الى شيء من البراغماتية، شرط ان تكون صادقة كما عند الرئيس الفلسطيني؟ واول البراغماتية ان يعي القادة العرب انهم تحت مجهر العالم، فلا يكتفون بالغناء على ليلاهم فيما تنتظر منهم كل دوائر السياسة الدولية خطة للسلام، وخطة واضحة لا تكتفي بالشعارات المبدئية.

ليس المطلوب طبعاً ان يقبل العرب ما تريد الولايات المتحدة املاءه عليهم. ولكن، في المقابل، ليس الحل بالتهرب من المسائل الشائكة، واطرها اثنتان: التطبيع وحق العودة. لا يخطئ احد: ان خلو البيان الختامي من كلمة "تطبيع" سيعيد في عرف الصحافة الدولية فشلاً للقمة. اما اذا استخدمت الكلمة السحرية وتم شرحها ب"علاقات عادية سلمية بين الدول"، وبين الدول فحسب، فان القمة ستكون حددت سعر السلام، من دون دفعه سلفاً كما تريد اسرائيل. مقارنة مع حق العودة، يبقى امر التطبيع سهلاً. فاذا كان التطبيع في النهاية مسألة مبدئية، فان حق العودة يطول اللحم الحي، وخصوصاً عندما تكون رئاسة القمة معقودة لبلد مثل لبنان مسكون بهواجس فلسطينية لا تفصح دائماً عن نفسها.

الا ان حراجة قضية اللاجئين ليست مبرراً لاعطاء اسرائيل حجة سهلة لرفض المبادرة العربية، كما سيحصل ان تم التشديد على القرار ١٩٤ من دون ان تُلحظ، في الجملة اللاحقة مباشرة، طرق مرنة لتطبيقه كالتالي بدأ البحث فيها في مفاوضات طابا. ولعل اطول طريق لعودة اللاجئين تكون بتضمين المبادرة اشارة الى القرار ١٩٤ نقطة على السطر، فقد بات واضحاً ان العودة، بالنسبة الى العدد الاكبر من اللاجئين، ستعني العودة الى ديار الوطن، وليس ويا للاسف الى الدار المهجورة. وديار الوطن هي الدولة الفلسطينية المستقلة، بما هي ايضاً دولة كل اللاجئين. هذا تحديداً ما يملي شكل المبادرة العربية، فلا تكون مدخلاً لمفاوضات عربية - اسرائيلية حول فلسطين، بل مظلة عربية للمفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية. في النهاية، ألم يثبت الفلسطينيون انهم يملكون، بالاضافة الى شجاعة لا تنضب، الوعي الاكثر نضجاً في دنيا العرب، والخبرة الاطول في تحويل الحجارة ذهباً؟

سمير قصير



Id-Reference	02-Pr-000497	
Media	(Support)	HC
Title		حجر الذهب
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١٢ تنمة ١
Date		٢٠٠٢/٣/٢٢
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	عبد الله - آرييل شارون - ياسر عرفات
	Locations	لبنان - بيروت - فلسطين - اسرائيل - ولايات متحدة
	Dates	
	Themes	بيروت - قمة عربية - عمل عربي مشترك - صحافة عربية - مؤتمر بيروت - قضية لاجئين - عرب - قمة بيروت عربية - قمة عمان - حرب استقلال فلسطين - سلطة فلسطينية - عبد الله - مبادرة - آرييل شارون - مبادرة أمير عبد الله - آرييل شارون - فلسطين - سلام - اسرائيل - بعد أحداث ١١ أيلول - تطبيع - حق عودة - مبادرة عربية - قرار ١٩٤ - مفاوضات طابا - مفاوضات عربية اسرائيلية
Subject		